متاعب الحياة

لا تكاد تظفر فى هذه الحياة وذلك العالم بمن رضى بماله وقنع بحاله ؛ فالانسان دائم الشكوى والتذمر ، دائب على التأفف والتحسر ، سواء فى ذلك الغنى والمعدم والقوى والضعيف ؛ حتى كأن هذا العالم الرائع والسر الغامض الجامع لا يروق فى عينى إنسان ! ؟

نشكو من زمن نحن فيه ، ونتألم من دهر نحن مصوروه ، ونعيب عصرا نحن ممثلوه ، ونحقر من عالم نحن ساكنوه ، فحققنا قول من قال :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

فعجب لك أيها الانسان ، ترى النار المحرقة يتوهج جرها ، ويتلظى لهيبها ، فتمد فيها يدك مغتراً بلونها الارجوانى ووجهها الذهبى ، مما فى أحشائها من إوار وسعير ، ثم تأتينا صاخباً صارخاً مرغياً مزبداً تصب جام لعناتك وصوت شتائمك على النار ! ! ! وما جنت عليك بل جنايتك على نفسك ، فما أغرب هذا التصرف الضال أيها الانسان وما أسوأه ، به تحصل لك المتاعب والآلام ، فاذا رأيت شقياً مسكيناً ، أو مجرماً سجينا ، أو تعساً مهيناً ، أو حائراً ظعينا ، وإذا رأيت ثم رأيت بؤساً مقيما ، وبلاء جحيما ، وعذابا وخطبا جسيما ، واستقصيت بروية وتؤدة عن علته الأولى وبذرة وجوده ، رأيت أنها لا تكاد ترجع إلا إلى ارتباك فكرى ، واضطراب عقلى ، كأن منه ما يسمى «سوء تصرف» أو « اختلال الادارة » أو « تدبير فاسد» أمور اختلفت فى اللفظ واتحدت فى المعنى والمرمى ، وهذه هى أصل كل شقاء وبلاء فى هذا العالم .

فالسارق الذى زج فى أعماق السجون يقاسى آلام الحبس ، لم يحسن التصرف بمواهبه وأخطأ استعمالها فجلبت لنفسه الضيق والعذاب ، والقاتل الذى يصلى سعير العذاب جزاء فعلته المنكرة التى أوقعه فيها عقل مضطرب وتفكير مىء ، بالمثل ترى كل مابه من هم أو كمد إنما جره عليه ما هو فيه من سوء تصرف ونقص فى التفكير ، سبب له غلطة واحدة كانت بذرة الشقاء المقيم .

فمثل الانسان فى هذه الحياة كمثل لاعب الشطرنج قد تكون غلطة واحدة سببا فى ضياع الدور ، فالفقير المعدم الذى يتجرع مرارة الاملاق والعوز إنما سعى إلى فقره أو طول أمده بسوء تصرفه وخلل نظامه قديما أو أخيرا ، فما خلق الفقير فقيرا ولا الغنى غنيا إنما الناس سواسية فرقتهم الجهود والاعمال ، والتدابير والافعال ، فاغتنى هذا بحسن تدبيره ، وأصاب هذا العوز بفساد تفكيره ، وكم من معدم فقير لا يملك شروى نقير قد غدا بحسن

تصرفه ودقة نظامه ، من أصحاب الأموال والقناطير وكم من غنى عظيم تعد أمواله بالآلاف الآلاف تدهور بسوء تصرفه وبات لا يملك النقير ولا القطمير ؛ وفى ذلك مالا يدع عند المفكر من شك فى أن رفاهية المرء وسعادته ترجع دائما إلى حسن تصرفه ودقة تفكيره وبعد نظره ورويته ،

إن لكل إنسان ثروة خاصة به من المواهب التى وزعتها العناية والحقوق والواجبات التى ترعاها سنن الجماعات إلا أن الكثيرين منا يفوتهم استغلال هذه الثروة العظيمة الربح ، وما الذين أثروا وارتقوا إلا من الذين كانوا بمواهبهم عاملين ولحقوقهم راعين ، وعلى واجباتهم محافظين ، أولئك الذين حصدوا ثروتهم الشخصية وصمموا على استغلالها صغيرها قبل كبيرها فى الوقت الذى هو أكبر رأس مال للأنسان نظموه وقسموه بكل دقة بين الروح والعقل والعواطف والنفس ، وكانت لهم من أنفسهم على أنفسهم رقيبا عتيدا ، يطالبهم بما جنوه وحصلوه فى يومهم ، ومنهم الذين علموا أن المرء فى حياته كالسابح على الماء إما أن يكد فيسبح أو يسكت فيهوى ويكون من المغرقين ، إذ ليس كل من خاض الماء سباح ، فهل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون .

وإليك مثلين لرجلين ابتلى أحدهما بسوء التصرف وفساد التدبير فتراه دائما فى الشقاء والنكد ، وأنعم على الثانى بحسن التصرف وقد كان دون صاحبه قساوة وسبقه وعلاه ، أما الأول فتراه مستخدما دائم الشكوى والأنين متقلا بالهم والديون ، لأنه لم يحسن التصرف فانه أصبح باستخدامه يظن أن المستخدمين وخدمه هم رجال المجتمع ، وأن الفلاح أو الطالب من الصعاليك فأسرف فى شرب التبغ والكحوليات ، والجلوس على المقاهى ومحال اللهو حتى أنه أصبح يدخن فى الشهر بنصف راتبه ويصرف النصف الثانى فى باقى المظاهر «الاجتماعية» فى رأيه ومن هنا ولج باب الدين ؛ ولسوء تصرفه ظن فى نفسه التفوق فأراد أن يقامر ليستعيض بالربح ما يملك من مصروفاته الباهظة ، وأصابته خسائر الميسر رغم ارتباك ماليته فزادت الطينة بلة ، تلك حاله التى كانت تحرمه النوم والراحة ، فكان يلجأ إلى المغريات لعلها تذهب بحياته فلا يتألم فتورط فيها بافراط حتى كادت تقضى عليه ، ولما لم يكن له مورد غير وظيفته لجأ إلى النصب ليستعمل فيه مظهره الذى ألفه ، ولسوء حظه ونكد طالعه كان نصيبه فى أمور طفيفة ، إلا أنها كانت تكشف عن نفسه ستارها ، وتجعله فى خشية يترقب ، ومع كل تلك المتاعب تراه يدعى أنه من أرق البشر وأطهرهم طينة وأعلاهم عقلية .

أما الثانى فكاد يستخدم حتى وضع أول أساس فى حياة الرجولة فتزوج وكان رب بيت ثم وضع لنفسه أملا يرجو تحقيقه ، فرسم لذلك السبيل ، وشمر له عن ساعد الجد ؛ وسواء بلغ ما أراد أو لم يبلغه تراه عاملا له مجدا فى طلبه ؛ وهو وإن كان فى تعب من عمله الذى يعمله إلا أن هذا التعب لا يعد شيئا بجوار ليلة واحدة يقضيها الأول على فراشه الشوكى يتقلب على فتاد الهموم ؛ وهكذا نرى دائما أن سوء التصرف هو أصل كل علة وشقاء فى هذه الدنيا ؛ وينشأ عن جهل وقصر نظر وعدم رؤية الأشياء فى حقيقتها وهذا يرجع إلى غرور وانخداع ؛ أصله عيوب متأصلة فى كنه الشخص وذاته لم تزلها التربية أو ينفعها التعليم إلا أن المرء مهما بلغ من درجات الكمال فى التربية والتعليم وسمو الأخلاق لا يسلم من هفوة فى بعض حقائر الأمور قد تؤثر فى حياته وتظل ردحا ما سببا لآلامه ومتاعبه إلا أنها لابد أن تزول

ولو أمعن الإنسان رويته ونظره فى كل أمر من الأمور ليستقرىء عواقبه قبل أن يقدم عليه دون تهاون فى شىء من الأمور التى قد تبدو صغيرة ولربما كانت جسيمة العاقبة توقع فاعلها فى ثالثة الأثافى ؛ فلازم التفكير قبل العمل وعمل بروية وتؤدة فأنى من تأنى نال ما تمنى ؛ ولنا من الماضى عظة ؛ ومن الحاضر عبرة ؛ والتدبير هو صلاح المعيشة ؛ ومنار الحياة ؛ به يسعد المرء أو يشقى

أبو اليزيد ابراهيم مقلد
مدرس بمدرسة شبشير الالزامية مركز طوخ

أنين البائس

آه منك أيتها الحياة قد ملأت القلب هما فبراه
وسقيت الجسم كأسا علقما فذوى الجسم ولم تكل قواه

***

أحرام أن تجودى باللقاء؟ وحلال أن تحيلا قبنا الشقاء
إرحمى منى فؤادا عينا !! ان سمعت الشكوى أحياه الرجاء

عبد العزيز سالم
مدرس